عرض لكتاب:

(حوار مع صديقي الملحد)

عبد الرحمن الخراز

للتواصل

@AL_KHARAZ

الفهرس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ثم أما بعد:

فإن الإنسان وُجد لعبادة الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:56]، ولا يوجد أعز وأشرف للمسلم له من أن يكون عبداً لله، فإن من أشرف الوظائف التي يقوم بها العبد هي الدفاع عن دينه وهذا من الجهاد في سبيل الله، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 52]، يقول ابن القيم: " الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه " (١) ، وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه دعاوى الإلحاد والتشكيك في الثوابت، وأصبح الهجمة على الإسلام منظمة ومركزة.

فينبغي على الداعية أن يكون واعياً عارفاً بشبهات القوم، وعلى الأقل يعرف بعض الكتب التي يرجع إليها إذا احتاج لذلك في نقاش أو ما شابه، لذلك تم اختيار كتاب أحد الكتب المعتنية بمسائل الشبهات والإلحاد، وهو كتاب (حوار مع صديقي الملحد) لمصطفى محمود رحمه الله.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، 1/ 70، دار الكتب العلمية، بيروت.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للدكتور مصطفى محمود.

وهو مصطفى كمال محمود محفوظ، ولد عام 1921م في مصر، بعد تخرجه من الثانوية بنسبة مرتفعة حاول والده إدخاله الكلية الحربية، إلا أنه رفض ذلك بعد أن تم قبوله فيها لحبه لكلية الطب، وتخصص في الأمراض الصدرية في عام 1952م، ويقول عن نفسه أن الأسئلة عن الإنسان وعن أسراره ابتدأت معه منذ أول سنة في كلية الطب في التشريح، وفي السنة الثالثة في كلية الطب أصيب بمرض في صدره مما اضطره للمكوث في البيت لمدة ثلاث سنوات، فتفرغ فيها للقراءة، خاصة الأدب العالمي، الروسي والإنجليزي والأمريكي والراويات، فيقول عن نفسه هذه العزلة في الثلاثة سنوات صنعت مني شيئاً، وابتدأت الأسئلة الأولية معه عن كل شيء، وترك كل المسلمات وكل الموروثات الدينية والاجتماعية، وانطلق من العلم التجريبي وما يحس به فجعله منطلقاً لإيمانه وأفكاره، فكان أول كتاب له بعنوان (الله والإنسان)، فأثار ضجة في مصر وحذر منه الأزهر وتمت محاكمته، واستمرت معه سلسلة الأفكار ببحثه في عالم الفلسفة مروراً بالماركسيين، ثم إلى الأديان السماوية منها وغير السماوية، استمر ذلك قرابة العشر سنوات، بحثاً عن جواب حكاية الإنسان وتفسيره التي لم يستطع العلم أن يفسره (١) ، ويقول عن نفسه:

" لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي و أعجبت بومضة
النور التي بدأت تومض في فكري..
احتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب و آلاف الليالي من الخلوة و التأمل
الحوارمع النفس و إعادة النظر قم إعادة النظر في إعادة النظر..ثم تقليب الفكر على كل وجه لأقطع ف
يه الطريق الشائكة من الله والإنسان إلى لغز الحياة إلى لغز الموت إلى ما
أكتب من كلمات على درب اليقين ." (٢)

حتى وصل إلى القرآن، فشعر أنه كتاب يجمع كل ما فات من العلم وفيه جوانب علمية أيضاً، وتأثر بقراءته، فأخرج كتاب القرآن الكريم محاولة لفهم عصري، وهو أول كتاب بعد التيه الذي قضاه لسنوات، ثم كتاب رحلتي من الشك إلى اليقين ثم كتابنا الذي نقف معه (حوار مع صديقي الملحد)،

---

(١) انظر: لقاء مصطفى محمود، وهو يتحدث بنفسه عن سيرته الذاتية، على اليوتيوب.
.https://www.youtube.com/watch?v=87onYRsUQs8

(٢) محمود، مصطفى، رحلتي من الشك إلى اليقين، ص4، دار المعارف.

وكتب عن الماركسية وسقوط اليسار، وعمل في مجلة روز اليوسف لأكثر من عشرين سنة محرراً، وفي آخر حياته قام بإنشاء العديد من الأعمال الخيرية كبناء المستشفيات وبعض الأمور الخدمية. (١)

فأصبح أحد أبرز المفكرين في العالم العربي، وتوفي في عام 2009م، وترك خلفه أكثر من ثمانين كتاباً من مختلف المجالات، فرحمه الله وغفر له، وأسأل الله أن يتقبل توبته ويعلي منزلته.

---

(١) عمارة، مُحَمَّد، السيرة الذاتية لمصطفى محمود من كتابه حوار مع صديقي الملحد، طبعة الأزهر، 1436هـ، 2015م.

المبحث الثاني: عرض لكتاب حوار مع صديقي الملحد.

كتاب حوار مع صديقي الملحد، صدر عام 1986م، وهو من الكتب التي صدرت لمصطفى محمود -رحمه الله- بعد صراع طويل مع الشك، والكتاب فكرته أنه حوار بين المؤلف وشخصية أخرى قد تكون وهمية، ويحاوره فيها بالأسئلة العقدية الكبرى المعاصرة، فيقوم هذا الصديق بعرض الفكرة (الشبهة) بكل أريحية عرضاً كاملاً، ثم يقوم بعدها المؤلف بمحاورته (بالرد) على تلك الشبهة، وهكذا يسير الكتاب في كل فصوله، وهو ليس بالحجم الكبير، بحدود 200 صفحة من الحجم المتوسط، و120 صفحة بحجم الكتاب العادي.

وسأقوم الآن بعرض سريع لما جاء في الكتاب مروراً بكل فصل.

تطرق في المقدمة إلى سبب انتشار الإلحاد، وأنه راجعٌ إلى الفكر المادي المعاصر،ولسيادة الشهوات في هذا الزمان، وانكبابهم على الدنيا، يقول:" وأصبح للكفر نظريات، وللمادية فلسفات، وللإنكار محاريب وسدنة وللمنكرين كعبة يتعلقون بأهدابها ويحجون إليها .. كعبة يسمونها العلم" (١)، حتى ظهر أمر الجينوم البشري (DNA) فعادت أسئلة الإلحاد من جيد.

وفي الفصل الأول الذي كان بعنوان: (لم يلد ولم يولد).

فقد تطرق فيه صديقه الملحد إلى قانون السببية حتى القول من خلق الله؟

فعالج المؤلف ذلك من طريقين بعد أن عرض بعض تخبط في ذلك، أولاً: أن المقدمة فاسدة حيث جعلت من الخالق مخلوقاً في نفس الوقت بقولك من خلق الخالق، ثانياً: أن الخالق لا يخضع لقانون المخلوق وهو السببية، كمثل تحريك العرائس، فإنها تتحرك بخيوط ولن تسأل هل من يحركها يتحرك كما تتحرك هي أيضاً.

وفي الفصل الثاني الذي كان بعنوان: (إذا كان الله قدّر عليّ أفعالي، فلماذا يحاسبني؟).

وعنوان الفصل هو صلب فكرة صاحبه الملحد، فبين المؤلف أنه واقعٌ في عدة مغالطات، وهي أن أفعالك معلومة عنده نعم، ومع هذا فهي فليست مقدوره عليك بالإكراه، فالله لن يحاسبك على قصرك وطولك ولأنك لم توقف الشمس عن شروقها وغروبها، لأن مجال المسائلة هو التكليف، وفي مساحة

---

(١) حوار مع صديقي الملحد، ص25.

التكليف أنت حر، وخطؤك الثاني ظنك أن الحرية الإنسانية تعلو على المشيئة الإلهية، لا فقد يفعل الإنسان ما ينافي الرضا الإلهي ولكنه لا ينافي المشيئة الإلهية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[سورة الإنسان:30]، والخلط الثالث عندك فهم أن القضاء والقدر إكراه للإنسان على غير طبيعته، ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[سورة الشعراء: 4] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس:99]، فالله ليس من سننه إكراه الخلق، بل ييسر للإنسان من جنس نيته ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[سورة الشورى:20].

وفي الفصل الثالث كان بعنوان: (مشكلة الشر).

فتطرق صديقه الملحد إلى أنواع الشرور في العالم من مرض وحروب ومصائب ثم يقول معقباً أين الله عن ذلك إن كان كما تقول هو إله الرحمة؟

فيجيب المؤلف بأن الله كله رحمه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [سورة الأعراف:28]، وإن قلت لماذا تُرك الظالم والقاتل يمارسون فعلهم؟ الحرية للإنسان اقتضت الخطأ ولا معنى لها دون ذلك، والناظر يعلم أن الخير هو الأصل والقاعدة والشر هو الاستثناء، والشر ليس محض، فالمرض يخلف وقاية، والألم يزيد صلابة، والزلازل تنفس مكبوت في الأرض وتحمى القشرة من الانفجار، والبراكين تنفث المعادن، وفي الحروب تجتمع الأمم، بل إن أعظم الاختراعات خرجت أثناء الحروب، ومن سم الثعبان يخرج الترياق، ومن المكروب نضع اللقاح.

والشر في الكون كالظل في الصورة، تظن أنه عيب أول الأمر، ولكن إذا ابتعدت ونظرت إلى الصورة ككل نظرة شامل، اكتشفت أنه ضروري يؤدي وظيفة جمالية في بنائها.

وفي الفصل الرابع تطرق إلى من لم يصله القرآن، أن الكلمة الفصل في ذلك هي قوله تعالى ﷻ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء:15]، والعذاب مرتبط بإقامة الحجة ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة:115]، فالذي يظهر من هذا الاحتجاج من هذه الشبهة أنه رحمة بحال الزنجي الذي في الغابات أو الأبيض الذي في الإسكيمو، وفي حقيقته الكفر بالقرآن، فالسؤال سؤال استدراج ومخادعة.

ثم في الفصل الخامس تطرق الملحد إلى عذاب النار، وكيف يعذب الله فيها عذاباً أبدياً بذنبٍ محدود؟ ومن نحن بالنسبة إلى ملكه حتى يعذبنا؟

فيجيبه أنه صحيح لسنا في ملكه شيء من مساحة وحجم، ولكن شأننا عنده عظيم، ألم ينفخ في آدم من روحه، أم يسجد له الملائكة، أما عن ذنب هؤلاء فليس بمحود بل خصلة ثابتة في نفوسهم ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [سورة الأنعام:28]، فهي صفة مؤبدة في النفس، وسنة الله أن يذيقهم من العذاب الأصغر في الدنيا لإيقاظهم من غفلتهم قبل العذاب الأكبر ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة السجدة:21]، والتعريف بالحق عندها هو عن الرحمة.

ثم في الفصل السادس الذي تطرق فيه الملحد إلى أن الدين أفيون الشعوب، فهو كالتخدير للفقراء فيناموا على ظلمهم وهم مقتنعين بذلك، ويثبت الأغنياء على غناهم باعتباره حقٌ لهم.

فأجابه مصطفى محمود بأن كلامك مرود جملة وتفصيلا، بالدين دين عمل ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾ [سورة التوبة:105]، وتوكل عزم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[سورة آل عمران: 159]، وقال ﷺ للذي أراد أن يترك ناقته سائبة: (اعقلها وتوكل) (١).

والأفيوني الحقيقي هو الذي يتهرب من مسؤولياته، لا المسلم المسئول عن سابع جار، واحترام الفرد في الإسلام بلغ الذروة وسبق ميثاق حقوق الإنسان، فالإنسان البريء عندنا يساوي الإنسانية كلها ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة:32]، والإسلام ليس تخلف، ففيه ابن سينا في الطب، وابن الهيثم في الرياضيات، وابن النفيس في التشريح، وابن حيان في الكيمياء، وابن رشد في الفلسفة، هذا هو الإسلام.

ثم تطرق الملحد إلى حكاية المرأة في الفصل السابع، فذكر التعدد وبقائها في البيت، والحجاب، والطلاق، والضرب، والهجر في المضاجع، وملك اليمين، والقوامة، ثم الميراث.

فذكر المؤلف ضرر التعري، ومن منظور آخر فإن التعري الكامل يفتر الشوق تماماً، ويصبح الظاهر لا قيمة له، فإن كل ممنوع مرغوب، وبهذا المفهوم يُفهم نظرة الإسلام لمفهوم الحجاب للمرأة، ثم تطرق إلى مسألة الهجر والضرب وبين أثره النفسي وفق الدراسات الحديثة وكيف أن تلك لدراسات جاءت موافقة لما في القرآن، من أن المرأة الناشز قد تحتاج لمثل ذلك، وعرج بعد ذلك لمسألة الرق وبيّن أن الإسلام لم

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (2517) حسنه الألباني، 6 / 17.

يحرم الرق بالنص الصريح، لأن تسريحهم بدون عمل جماعي وبدون صنعة يؤدي ذلك لكارثة اجتماعية، وأما القوامة فهاهي موسكو الملحدة التي تفتخرون بها من أيام لينين إلى بوتين القوامة فيها لرجل، وكافة الدول على ذلك، والإسلام لم يفعل شيء أكثر من أنه سجّل هذه القاعدة.

ثم سأله الملحد في الفصل الثامن عن الروح؟ وما الدليل على بعث الإنسان؟

فأجاب المؤلف بأن للإنسان طبيعتان، الأولى خارجية ظاهرة وهي جسده، تتصف بكل صفات المادة قابلة للوزن والقياس تشبع وتجوع، وتنتقل من المرض إلى الصحة ..الخ، ونوع آخر: يتصف بالتجرد اللازمان واللامكان والديمومة هي العقل، ولا يتصف بصفات المادة.

والحركة لا يمكنك رصدها إلا من خارجها، كالأصنصير، أو القطار، أو الأرض، وأنت فيه لا تشعر بالحركة إلا إذا خرجت منه، وكذلك الروح.

أما عن البعث، كل ما يمكن قوله أنه حقيقة يرجحها العقل والعلم، فإن العود الأبدي في كل شيء، انظر للنهار ثم الليل ثم يعود النهار، وكذلك الشمس تشرق وتغرب ثم تشرق، والصيف يدور ثم يرجع الصيف، وكذلك في الحضارات تبدأ صغيرة ثم تكبر ثم رجع صغيرة، وهكذا، فبعد رقود الموت هناك صحوة بعث، وأهل الفكر يقولون: الضمأ إلى الماء دليل على وجود الماء، كذلك الضمأ إلى العدل يدل على وجود العدل.

وفي الفصل الثامن تطرق صاحبه الملحد إلى الضمير وما الدليل على وجوده وما سره؟

فأجابه بوقائع من المشاهد اليومية من البهائم التي تشعر بالأسى بعد ارتكاب خطأ، كالقطط وببعض المشاهد التي حدثت أمام الناس في السيرك مع القردة وغيرها، وفي الجانب الآخر مع الأطفال وبني الإنسان عموماً.

وفي الفصل العاشر تطرق الملحد إلى مناسك الحج وأنها مناسك وثنية فإنكم أيها المسلمون تطوفون على حجر وترمون حجر؟

كان مختصر ما قاله المؤلف أن كل شيء يدور من الأصغر إلى الأكبر، الإلكترون في الذرة يدور حول النواة، القمر يدور حول الأرض، الأرض تدور حول الشمس، فما تراه أمرٌ طبيعي في هذا الكون.

لماذا لا يكون القرآن من تأليف مُحَمَّد؟ هذا سؤال الملحد في الفصل الحادي عشر.

فقال لها المؤلف لا يمكن ذلك لأسباب، أولا: لو كان منه لبثّ فيه أحزانه كعام الحزن، ونحن نجد أنه ينقض فيه بعض أعماله كقوله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[سورة الأنفال:67]، وأنه يثبت فيه أنه لا يعلم الغيب ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ ﴾ [سورة الأعراف:188]، ثانيا: الدقة في استخدام الكلمات، خذ مثلاً كلمة (اللواقح) في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [سورة الحجر:22]، فإنه ثبتت بالدراسات الحالية أن الرياح لواقح للنباتات في الإخصاب، وكذلك لواقح للسحاب، فالرياح عامل أساسي في تلقيح السحب التي هي سببٌ للمطر، وغير ذلك الكثير، وثالثا: فإن محمّداًﷺ لم يأت بما كان معروفاً عند العرب لا بالشعر ولا بالنثر، جاء بلون ثالث لا تعرفه العرب، يستحيل أن يكون من عنده.

أما في فصله الثاني عشر فقد كان قريبا من الفصل السابق، فقد كان بعنوان القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفاً، فقد تطرق فيه الملحد إلى مبالغة المسلمين في القرآن والإعجاز العلمي وكل ما فيه أصلا إلا القصص؟

فبين مصطفى محمود، أن القرآن لم يتعرض لموضوعات الذرة والتشريح والبيولوجيا لأنه جاء أولا ككتاب عقيدة، وثانيا لأنه لو جاء بالتفصيل لما فهمه العرب في ذاك الزمن لأنه سيكون مستقبحاً عندهم، لذلك قال الله﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت:53]،أي أن كثير من الأمور ستكشف في المستقبل، أما عند إعجازه العلمي فالقرآن سبق الدراسات الحديثة في مسألة كروية الأرض﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة الزمر:5]، وهو أول كتاب ذكر أن هناك شيء أصغر من الذرة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة سبأ:3]، وذكر الله تعالى للبنان ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة:4]، وللتوا أثبتت الدراسات أن البصمة لا يتشابه بها حتى الأخوان، بل وتثبت الدراسات أن أفضل ما تتناوله المرأة عند الولادة هو الرطب لأن فيه مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتمنع النزيف، وهذا سبق فيه القرآن ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [سورة مريم:25]، بل وحتى في الأمور التاريخية هناك إعجاز، خذ مثلاً عندما غلبت الروم نزلت الآيات تخبر بأنهم سينتصرون وحددت ذلك في بضع سنين والبضع بين الثلاث والتسع﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ

﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [سورة الروم:4]، وخذ أيضاً غزوة بدر الله بشر بانتصارهم وهم في مكة﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [سورة القمر:45]، وغير ذلك من الأمور التي تثبت أن القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف أحد ولا يمكن أن يكون إلا من الواحد الأحد.

وفي الفصل الثالث عشر تعرض الملحد لبعض ما يسميه تناقضات في القرآن الكريم، فذكر قوله تعالىﷻ ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [سورة الكهف:29]، فقال هنا أطلق الله الحرية للبشر ثم في آية أخرى قال ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠﴾ [سورة الإنسان:30] وهنا يقول أنه لا حرية لهم فكيف ذلك!؟ فأجاب المؤلف أنه لا تناقض أبداً، فالله لا يكره أحداً في اختيار دينه، ومشيئة البشر تابعة في ذلك لمشيئة الله لا تضاد، وقد سبق الكلام عن ذلك في الفصل الثاني وأن الحرية البشرية لا تعلو على المشيئة الإلهية، فقال الملحد وماذا تقول في قوله﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾ [سورة الزخرف:19] وقوله﴿ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [سورة القصص:78]، فهل الآن هو يسألهم أم لا!؟ فأجابه المؤلف باختصار أن يوم القيامة أحوال مختلفة وكل صنف من الناس له شأن مختلف عن الآخر، وهذه الآيات واردة على طائفة غير الأخرى، فقال له الملحد قل لي بصراحة يا صديقي مصطفى ما العرش وما الكرسي؟ فقال له: قل لي ما الإلكترون وما الكهرباء وما الجاذبية سأقول سأقول لك ما الكرسي وما العرش؟ بحولك أمور لا تعرف ماهيتها فما بالك بالبعيدة الغيبية.

ثم في الفصل الرابع عشر تطرق هذا الملحد إلى التطور وكيف أن العلم أثبت ذلك الآن وأصبح الدين في ورطة أمام ذلك، فبين له المؤلف بعض مطبات دارون العلمية، وبين له التشابه بين المخلوقات في عموم تكوينها فعندما نرى الذراع عند الإنسان هي نفسها الجناح عند الطيور وهي نفسها عند البهائم، وكذلك الجهاز التناسي فإنه موجود في الكائنات الحية من الأرانب والضفادع وغيرها، والرقبة سواء طالت أم قصرت بين الإنسان و الزرافة أو غيرهما، فهناك الكثير من التشابه التشريحي، فإن دارون أصاب في التطور وأخطأ في الارتقاء وأخطأ في تصور مراحل هذا الارتقاء وتفاصيله، ونجملها في الخطأ الأول: إن كان البقاء للأقوى، فلماذا كان التفضيل للأجمل في كثير من المواضع كالزهور والطيور وغير ذلك، وإذا دخل تفضيل الأجمل في الحساب فإن النظرية تنهار من أساسها، ثانيا: جاء من أصحاب نظرية الطفرة، وهي الصفات الجديد المفاجئة التي تظهر في النسل نتيجة تغيرات غير محسوبة ، فأسقطت النظرية كل هذه المرحلة، وهي مرحلة فيها إبداع، فكيف يجاب عن ذلك، ثالثا: الخريطة الكروموسومية

للجينات، فلكل نوع حيواني خريطة خاصة به، ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة.

والقرآن صريح في أن البدايات الأولى للإنسان جاء نسلها من ماء مهين، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [سورة السجدة:8].

وفي الفصل الخامس عشر تطرق الملحد لكلمة لا إله إلا الله وأنكم تبالغون بها وكأنها سحر، وكأنها مفتاح لباب الجنة ويقول ساخراً إذا أنا أقولها وأريد أن أدخل جنتكم هذه التي تدخل بتلك الكلمة.

فبين له المؤلف عظم هذه الكلمة المبنية من نفي لجميع المعبودات وجميع الآله ة ثم إثبات لإله واحد وهو الإله الحق، نفي لآلهة النفس والحكم والمال والدنيا .. الخ، وإثبات لمن خلق الكون الفسيح، وأنها ليس مجرد كلمة وإنما هي كلمة صادقة مبنية على منهج وعمل.

وفي الفصل السادس عشر تطرق الملحد إلى الحروف المتقطعة في القرآن الكريم، فقال: ما تقول في كهيعص، تقرؤونها ولا تعرفون لها معنى، وهي أشبه بالطلاسم؟

فبين له المؤلف أنها وضعت لحكمة وليست عبث، فلو جئنا مثلاً يا صاحبي لسورة ق، وعددنا ما فيها من قافات لوجدنا أنها 57 قافاً، ولو ذهبنا إلى السورة الشورى وهي ضعفها في الطول، ومن فواتها حرف ق أيضاً، لوجدنا أن فيها 57 قافاً، ولو جمعناهم 57+ 57= 114 لخرج لنا عدد سور القرآن، وسورة ق تبدأ بـ ق إشارة إلى القرآن وتنتهي بقوله ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق:45]، وهذا ختامها، ومجموع القافات بعدد سور القرآن، والتجربة كذلك في العديد من السور مما يبين أنها لم توضع عبثاً، ولا أقول أن هذه كل أسرار الحروف، بل إن ذلك يضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة.

وفي الفصل السابع عشر استهجن الملحد المعجزات، وقال كيف تقبل عقولكم أن يخترق قوانين الكون، وكيف صدقتم ذلك؟ وكيف يأمر ربكم بذبح ولده وهو رحمن رحيم!؟

فقال له مصطفى محمود: أولا عن ذبح إبراهيم لولده، فإن سياق الآية واضح في أنه لم يرد منه أن يذبح ولد بل أراد منه أن يذبح حب ولده وهو شغفه الزائد بابنه، بدليل أن الذبح لم يحدث، ثانيا: بخصوص خرق القانون، هناك قانون للجاذبية والطائرة التي تطير تخرق ذلك القانون وهي نفسها لها

قانون تطير فيه، وكذلك صعود الماء الآن فإن له قانون وهو الضغط، فنحن الآن أمام تفاضل قوانين لا خرق قوانين، وكذلك المعجزات فإن الله لا يهدم النظام بها، وإنما يشهدنا على نظام أعلى.

وفي الفصل الثامن عشر سأله الملحد عن معنى الدين عندكم هل هو مجرد المعاملة بالحسنى!؟ فقال الملحد أنا أقوم بذلك وسأدخل ما تقولون عنه جنتكم!؟ بل سأدخلها أول واحد!؟

فأجابه المؤلف أن ديننا فيه المعاملة بلا شك، وهذا من مقتضيات الدين، لكنه ليس هو الدين، ديننا ليس له إلا معنى واحد وهو معرفة الله، العلاقة بينك وبين الله في كل حين هي الدين، وما بينك وبين الآخرين من مقتضيات الدين، فخلاصة الأمر أن المعاملة وحسن السلوك أمر مهم، لكن ديننا قائم أولا على معرفة الله والمعاملة معه أولاً وآخراً.

وفي الفصل الأخير قال الملحد وفي نبرته فرحة رجل منتصر: فزنا نحن بسعادة الدنيا وخرجتم أنتم ببضعة أوهام في رؤوسكم، فلنا السهرة والسكرة والنساء والللذات ..الخ ولكم الصلاة والصيام والتعب.

فأجابه مصطفى محمود، أن ما ذكرته هو الشقاء بعينه، فما ذكرته عبودية لغرائز، وليست بسبيل إلى السعادة، فبعد قضاء الوطر وفتور الشهوة يرى كل امرئ العيوب بعدسة مكبرة، ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [سورة محمد:12]، فوصفهم أنهم يتمتعون، لكن كالأنعام، السعادة الحقيقية في السلام والسكينة والتحرر من العبوديات.

فقال الملحد: فكيف يكون الحال لو خسرت حساباتك وانتهت إلى موت وتراب ليس بعده شيء!؟

فأجابه : لن أكون قد خسرت شيء، فقد عشت حياتي كأسعد وأحفل ما تكون، ولكنكم أنتم سوف تخسرون كثيرا لو أصابت حساباتي وصدقت توقعاتي، وهي صادقة.

وبهذا أكون قد لخصت الكتاب كاملاً ..

المبحث الثالث: ملاحظات على كتاب حوار مع صديقي الملحد.

لا يخلو كتاب من نقد وملاحظة إلا ذاك الكتاب الذي قيل فيه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة البقرة:2]، والنقص من سمات البشر، وإذا كتب الإنسان كتاباً فقد عرض عقله على الآخرين، فلا غرابة من المخالفة والنقد، فعقول الناس تتفاوت ونظراتهم تختلف وكلٌ يجتهد، ولكل مجتهد نصيب من الأجر، لكن ليس كل مجتهد مصيب.

وعوداً إلى كتابنا، فرحم الله المؤلف فقد استمعت فعلاً بقراءة الكتاب، واستفدت منه أيما استفادة، وقلّما يجد المرء كتاباً يجمع بين العلم والأدب وسلاسة الحوار وبساطته في نفس الوقت، وخاصة إن صدر من مؤلف ذو تاريخٍ حافل في الصراع بين الشك واليقين، وكما قيل: كفى بالمرء نبلاً أن تعد بمعايبه.

ولذلك سأكتفي بذكر بعض الملاحظات التي وقفت عليها أثناء قراءتي للكتاب:

١ - يؤخذ على المؤلف رحمه الله بعض العبارات التي فيها تصوف، كقوله" نقرأ عن الأولياء وأصحاب الكرامات الذين تطوى لهم الأرض وتكشف لهم المغيبات.. (إلى أن قال) إنه العلم اللدني " (١) ، وكذلك قوله: " وما من أحد يرهف قلبه ويرهف سمعه إلا ويتلقى من الله فضلا" (٢)، وكذلك قوله: " نحن لا نعبده بأمر تكليف ولكنا نعبده لأنا عرفنا جماله وجلاله .. مجرد أن نبسط سجادة الصلاة نصبح في حضرته" (٣) ، وغير ذلك، وقد يقال إنما ساق ذلك بعبارة أدبية بليغة ولم يرد لوزامها الشرعية، فقد يصدق ذلك في بعضها لكن البعض الآخر صريح، مما ينبغي على القارئ أن يتنبه لذلك.

٢ - قوله في الفصل السابع "ولم يحرم الإسلام الرق بالنص الصريح..وبهذا ينتهي الرق بالتدريج"، وهنا مسألة خاض بها بعض المعاصرين وهي هل الإسلام حرم الرق أم لا؟ أو أن الإسلام أراد أن ينهي الرق أم لا؟ والمؤلف عبارته ليست بصريحة ولكن يفهم منها ذلك، ومعلومٌ أنه لم يأت دليل يلغي مقصد قائم ومنفذ باقٍ إلى يوم القيامة في القتال.(٤)

٣ - لن نصل لنتيجة مع أي شخص منكر لأصول الإسلام كوجود الله والنبوة ..الخ، وفي نفس الوقت يناقشنا في مسائل في الدين، كالحجاب والميراث ..الخ، قطعاً لن نتفق ولن يؤمن،

---

(١) ص43.

(٢) ص54.

(٣) ص157.

(٤) انظر: مقرر شبهات حول الحدود، د. سلطان العميري، صناعة المحاور.

لأنه لا يوجد قاسم مشترك في النقاش، وهو منكر لأصل تلك الفروع، ومنكر لأهم إجابة في الباب وهي أنها عبادة، إلا أن يراد بيان بعض الحكم من تلك المسائل أو إزالة لبعض الشبهات حولها لفائدة يراها المحاور، وهذا في الفصل السابع من الكتاب، لكن الأصل اثبت العرش ثم انقش.

٤ - تفسيره للحروف المقطعة، وذلك عندما حسب القافات وجمعها ..الخ، صحيح أن علماء التفسير مختلفون على عدة أقوال في تفسير هذه الحروف، لكن لم يقل أحد بالذي قال به المؤلف، قال صاحب أضواء البيان: " القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو: أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد، وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء، وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف، قال ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية." (١) .

٥ - ومن الملاحظات، أن الطابع العام للكتاب عبارة عن إجابة للشبهات، وإن كان من ضمن بعضها إلزامات للملحد، لكن لم تكن جلية واضحة، فلو لم يكتف فقط بالدفاع بل هاجم الإلحاد في كل باب من تلك الأبواب، وبين تخبطهم وأنهم لم يقفوا على ساق صحيحة ولا عرجاء، لكان أكمل وأشمل.

وفي الختام

فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي من الشيطان.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد.

---

(١) الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، 2/ 167، 1415هـ.